

الإثنين 24-01-2011

1242- يوم إبداعى الشخصى: قصة قديمه

مقعدان

-1-

... "كذا رضا."

قالها وكأنه يحدث نفسه.

كانت قبضته تمسك برأس عصاه في ثقة، مثل طمانينة صديقين مزمنين إلى بعضهما البعض دون حاجة إلى شهادة ثالث، كان قد أسلم ظهره للشمس لا تغمر إلا نصف المساحة أمام المقهى. شمس أوحشته منذ ثلاثة أيام بالتمام، ثم هاهى قد حنّت على الكون برغم أنف مصلحة الأرصاد.

قال وهو يحدث نفسه:

"قوى.. قوى.. هو القوى، هكذا رضا، و.. زيادة."

ردّ صوت آخر آت من الجالس خلفه على بعد خطوتين (يبدو في السن ذاتها) محافظاً على مسافة ثابتة تعلن حدود الأمان:

"ربنا يقوى إيمانك."

رد الرجل الأمامى متحفزاً، دون أن ينظر خلفه:

"ما باليد حيلة.. ومن لا يعجبه يشرب من البحر."

يأتى صوت "الرجل الآخر" من الخلف:

"كلام كما الترياق. فقط لو..."

-2-

يدق الفتى ماسح الأحذية على جنب الصندوق بالفرشاة، فيشير الرجل إلى قدميه دون كلام. يفرد الصبي تحت رجليه مساحة من الورق المقوى، يبدو أنه كان صندوقاً لشيء ما، ثم فتح على مصراعيه دون عناية. ينظر الرجل الجالس إلى قدميه، ويحاول أن يتهجى الحروف المتبقية على الورق المقوى: مال... .

مالرر.. مالربو... هاهى. نعم. . هى سجانر الغزاة الجدة، ولكن لماذا قفز ثمنها إلى هذا الرقم الخيالى، دون زيادة حادة فى المعاشات؟. من لا يعجبه يشرب من البحر فعلاً، أو يحافظ على صحته مُرغماً.

-3-

تمر الصغيرة السمراء، وقد حملت كتبها فى حقيبة محظوظة، تضغط بها فوق صدرها، فيكاد ينبعج ثدياها كل إلى جانب، لولا مرونة اللحم الشاب الطازج. ينظر الرجل الجالس إلى الساعة بطرف عينه؛ ليقفز خاطر خبيث "إلى أين يتبختر الغزال الأسمر، والميعاد ليس ميعاد المدرسة، لا ذهاباً ولا إياباً؟" كم هو مشتاق إلى أن تكون له أم صغيرة مشتتة، نعم". . أم "وصغيرة لا تتجاوز الثمانية عشر. لو حدث هذا لعاد يرضع منها كما صغار العجول الرقطاء، ولزالت الآلام الروماتيزمية مرة واحدة.

-4-

يفيق على دقة ماسح الأذى، على جانب الصندوق، فيمد رجليه باستسلام، ويضع قدميه فى الخذاء اللامع دون رغبة واضحة. تعود أفكاره إلى داخل رأسه محتنقة، حتى ليكاد يربط بين حركة أصابع القدم الطليقة، وحركة الأفكار الحرة؛ فتتململ الأصابع داخل الخذاء اللامع.

-5-

يتكلم "العجوز الخلفى" وكأنه قد اقترب قليلاً دون استئذان، فيسأل "العجوز الأمامى" عما فعل صاحب العمارة الجديدة المقابلة التى أصبحت تجرز نصف الشمس، عن نصف المقهى.

- اللجنة عملتها بخمسة وخمسين بعد اثنين وتسعين، ومتظلم.

- معه حق، المباني تتكلف هذه الأيام، هذا ظلم.
- ليكن، لكن من أين يأتى الشباب بالنقود؟
- لا حل إلا فى عقد عمل أو إعارة.
- البنت سافرت مع زوجها، ولم ترسل حساً ولا خيراً.
- الدنيا مشاغل.
- لايد أن النذل زوجها منعها خوفاً من الطلبات.
- الله الغنى يا شيخ.
- "فشر"... هى وهو على "هذا"، لو كان الأمر كذلك.

-6-

يسود صمت جديد قديم، وكأنهما لم يتكلما أصلاً. يتسحب الرجل الخلفى إلى الخلف، كما لو أنه كان قد تقدم أصلاً، فتعود المسافة كما كانت (بالضبط)، ويجوار كل منهما كرسي خال.. ومنضدة مستديرة من الصفيح الصدى.

تتسلل الأفكار في رحاب دفة الشمس، وكأنها صف كناكيت يتبع أمه في نظام " .. هانت، واجنة تنتظر الصالحين بعد حسن الختام، ثم إن رحمته أكبر من أخطاء البشر. أعظم ما في الجنة هو قلة الكلام، واختفاء الرؤساء، ووفرة الحور العين، ولكن أين ستهذب أم الأولاد؟. (ذلك لو دخلت الجنة أصلاً، ألم يقولوا إن أكثر أهل النار من النساء؟) أقول لنفسي: يا ترى لو أغنانا الله عنها بالحور العين، فماذا هي صانعة في هذه المسألة؟ حتى لو رجعت حورية، فإن نفسى تهفو إلى الأخريات ممن لا أعرف، أليس هذا أضمن؟ إذ من أدراى ماذا ستفعل هناك ، بعد أن تزهو بنفسها وكأنها حورية فعلا، ثم إن الجنة نفسها لا يمكن أن تغير من طباعها، وهي معتادة دائماً ... دائماً معتادة " . دائماً والعياذ بالله. ومع ذلك فما يشغلنى هو احتمال وجود حور من الذكور، كله جائز، ولا خطر على قلب بشر، يا خير!! ما هذا؟

- استغفر يا غي إيش أفهمك أنت في أى شيء ..

- وأنا ما؟ تدابره تفوق تفكير أمثالى.

-7-

نظر في استقامة أمامه، فرأى عربة الفول الصغيرة، وقد اصطف حولها صبية المحلات يفترون وقوفاً في انتظار فتح الورش؛ حين تحين ساعة الانضباط. وتساءل عن هؤلاء الشباب الذين لا يركعونها، والذين لن ينالوا دنيا ولا آخرة، راحت عليهم بين الأرض والسماء، يا حبة عيني.

وبالرغم من هذه الشفقة الواخزة العاتبة، فقد ظل وجهه مبتسماً، إذ خطر له - يقينا - أن الله سبحانه لا يد سيكون أعدل، وأرحم من الحكومة، وأمريكا، وروسيا، والصين، وشيوخ الإمارات، وفاتورة الكهرباء .